وعودُهم فما كانت إلا غرورًا ..تطايرت أمانيّه كقطرات ماءٍ على حرّ الصّفيح..

لم يبقَ من قالب السكّر بعدئذٍ إلّا الغلاف.. صارتْ نظراتُ إدارةِ المصنعِ تزدريه وكأنّه عبءٌ عليهم، وتنشبُ في خاصرته أسهماً تثغبُ حسرة.. شعرَ حينها أنّه لمْ يعدْ مرغوباً به كما كانَ بينهم من قبل.. لملمَ ما تبقّى منه ثم رحلَ تاركاً بقايا من سكّرٍ ووفاءٍ على جدران المصنع!

المجنون

بقلم: كريمة سعيد

اركضي اركضي يا نجيدة ها هو ذا قادم ناحيتنا.. صرخت نجيدة وأطلقت رجليها للرّيح....

لقد كان بمثابة كابوس لكلّ التّلاميذ والتّلميذات، وكنت بدوري

أخشاه جدّا، ولكنّه كان يحفظ توقيت ذهابي إلى الإعداديّة..
أمّي لم تكن أبدا تضبط الوقت فكان كالمنبّه يراقب ذهابي بشغف كبير، ولا ترتسم الوداعة على محيّاه إلّا برؤيتي خارجة من البيت...
أحاول التّظاهر بعدم رؤيته، وأنا أتحيّن فرصة اللّقاء بأحد ما لتعود السّكينة إليّ كان يكتفي بمرافقتي ومراقبتي من الرّصيف المقابل فقط.. ولو حاول أحد ما معاكستي أو مخاطبتي بصوت مرتفع فالويل له..
نجيدة بمجرد رؤيتي أسرعت إليّ معانقة ومقبّلة، ولونها شاحب..
أرجوك اطلبي منه ألّا يؤذيني فقد أصبحت أعيش كابوسا ..
أمشي وأنا ألتفت إلى كلّ الاتّجاهات مخافة أن يلتقطني...
قلت لها بيقين: كونك تخشينه، فأنا لا أخشاه.. لذلك لا يستطيع إيذائي أو مطاردتي كما يفعل معك...
في قرارة نفسي أعرف أنّ الخوف منه يشلّني. فهل يعقل أن أكشف خوفي أمام نجيدة؟ لا وألف لا ..

مع مرور الوقت، اعتدت لعدم الانتباه لوجوده، بل أصبحت أحسّ بامتلاك قوّة خارقة يمدني بها ذلك الإحساس بالأمان

والقوّة.. هناك من سيحميني من أيّ خطر محتمل .. يا لروعة هذا الكائن الذي جعلني ملكة يهاب جانبها!

اكتسبت الثّقة والاستقلاليّة، وأصبح لي رأي في مواقف كثيرة جدّا، رغم صغر سنّي.

بالرغم من الشّكاوى المقدمّة من بعض الناس، إلّا أنّ السّلطات كانت تواجههم بأنّه لا يعتدي على أحد... وقد حاول بعض الجيران والمعارف إخافة والدي بغرض التّقدّم بالشّكوى ضدّه، ولكنّه رفض؛ لأنّ الرّجل لا يعترض سبيلي ولا يضايقني...

ووالدي كان يتقي الله، ولو عبّر عن الرغبة في التّخلص من الرّجل فسيختفي في ثوان... ولكن حرام أن يتحالف مع الدّهر فيزيد من بأس الرجل، فهو إنسان من لحم ودم. الله يعفو عليه..

(تهلاّو فيه مسكين لا حنين لا رحيم) ..يقولها أبي كلّما رآه متسمّرا على الرصيف المقابل، يراقب بيتنا..

نجيدة تصرّ وتلحّ عليّ: إنّه سيمتثل لأيّ طلب تطلبينه منه، فهو ملاكك الحارس فاطلبي منه أن يدعني...

- لا أستطيع، فأنا لا أتحدث معه.

- فقط اطلبي منه..

انضمّت إلينا لويزة وبدون مقدمات :حصلت مرّة أخرى على

أول نقطة؟ لا أعرف لماذا؟ فالأستاذ يحابيك على حسابنا كلّنا..
نظرت إليها وقلت: الورقة تحدّد، فاذهبي واشتكي للإدارة..
تعلمين أنّ مواضيعي تعجب دائما أساتذتي..
كنّا لا زلنا على بعد خطوات من ثانويّة عبد الكريم الخطابي
..عندما لحقت بنا السّعديّة وبادرتني بالسّؤال عمّا كتبت عن
جبران خليل جبران، فأطار بعقل الأستاذ وأعجب به لهذا
الحد... المسألة ما عادت تحتمل فأنت دوما الأولى...
- اهتمّي بدروسك، وقدّمي أجوبة بجودة أجوبتي، وستحصلين
على الدّرجة الأولى فجأة، ارتفع صوتها، ودخلت في عصبيّة
هستيريّة لم أستوعبها.
كانت تصرخ، وكأنّها تحمّلني مسؤوليّة كلّ ما يحدث معها بالحياة،
وأنا صامتة لا أجيبها ممّا زاد من ثورتها.. وما هي إلّا ثوان حتّى
هاجمها الملاك الحارس بكلّ قوّة وضراوة، وعضّ أنفها بشكل
مخيف..
هربت الأخريات مفزوعات يتصايحن ويطلبن النّجدة... ولم
يتوقف إلّا على إيقاع صوتي، الذي ارتفع بالصّراخ والبكاء.
كانت تلك آخر مرّة أراه فيها، ولكنّ صورته وهو واقف ينتظر
خروجي من الإعدادية أو الثانوية، أو وهو يدور حول نفسه على

الرّصيف المقابل لباب منزلنا لم تفارقني يوما... ولا أعتقد أنّها ستفارقني يوما، وأنا على قيد الحياة، خصوصا تلك الابتسامة الوديعة، وهو يلوّح لي مودّعا خلف الباب الحديديّ...

قال لي والدي – رحمه الله – بأنّ أفراد عائلته قد أدخلوه المصحّة بالعاصمة قصد العلاج، فهو من عائلة معروفة جدّا، وقصّة جنونه ارتبطت بفرار زوجته الأسترالية بولديه، وانقطاع أخبارهم عنه.

فبعد محاولات عديدة لإيجادهم، انفجر في أحد الأيّام غاضبا في محلّ عمله – كان مهندسا معماريّا ناجحا جدا– فخرج من هنالك وتوجه إلى منزله، وأضرم النّار في كلّ شيء، قبل أن تنتابه حالة هستيريّة أدخل إثرها إلى المستشفى.. وبعد خروجه استمرّ على تلك الحالة...

غريب ذلك الرّابط الذي يربطني بهؤلاء المجانين، الذين استطعت دوما اكتساب تعاطفهم الكبير، وبالمقابل تظلّ صورهم تلحّ على ذاكرتي، وتنعش إحساسي بأبوتهم لي رغم الجنون والهوس.